نماء اللغة العربية وانتشارها

كامناف في القضاء على تخلف العرب في الحقل العلمي

الأستاذ عبد الواحد العلوي

المجلس الاعلى للقضاء (الرباط)

اللغة العربية هي في الحقيقة لغة المسلمين جميعا بل يجب ان يسري اثرها الى البشرية جمعاء لان مبادىء العقيدة الاسلامية في اصلها وفروعها موجهة الى الناس كافة ودانت بها امم في مختلف القارات وكان لها الفضل على الانسانية كلها في محيط الحياة الفردية والجماعية ادبيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، عقيدة لا يمكن ادراك حقائقها والوقوف على اسرارها للحكم لها او عليها الا باللغة التي نزلت بها ، الشرقي والمستشرق والغربي والمستغرب كلهم في ذلك سواء ، اما عن التعبير بها عن كل كائن فلقد وقعت التجربة فما عجزت عن التعبير عن كل ما جد وحدث في عنفوان سلطان اهلها وعزة المتكلمين بها عبرت عن مدارك العلماء ومقاصد الدهماء فما وهنت ولا ضعفت ولا قصرت عن بلورة ما جد من العلوم بعد الفتح الاسلامي بمصطلحات علمية وفنية وآلية في ميدان القانون والادب والتاريخ والجغرافية والفلسفة وعلم الكلام والطب وسائر الصناعات وتدبير شؤون الاموال عامة والتنظيمات الحربية والتصميمات الهندسية وغير ذلك بفضل اهلها والمنتمين اليها من غير العرب وهم الكثير فلم تكن مشاكل التعريب عندهم بالامس بأسهل منها عندنا اليوم ولاكنها القوة والسلطان في ذلك الزمان والتخلف والضعف في هذا الاوان اذ اللغة صفة من صفات اهلها والمتكلمين بها تقوى وتعز بعزهم وتذل وتضعف بضعفهم ، فمما لا ريب فيه انه لا يمكن لاهل اللغة العربية ان يرجعوا اليها سلطانها وقوتها الا باسترجاعهم لقوتهم وبوحدة النظر لمعالجة مختلف القضايا مع التكتل ضد كل فكرة تقف امام هذه الوحدة

ولا يزال المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي يسعى جاهدا للوصول الى هذه الغاية بما يقوم به من مجهود جبار .

فمما لا ريب فيه ان اللغة وآدابها وسعة صدرها لكل ما يحدث ويجد من فنون وعلوم وصناعات آلية وغيرها يشكل احد المقومات التي يبني عليها الشعب وحدته وان كل شعب اصيب بمرض التخلف وتوقفت لغته عن النمو ومسايرة التقدم الحضاري والعمراني قد حيل بينه وبين تقاليده وفقد خصائصه ومميزاته .

لذا كانت اللغة العربية بالنسبة للجاحدين والجامدين عرضة لمعاول الهدم والافساد سلبا وايجابا من عدة نواح ولاسباب مختلفة تتجدد بمرور الزمان بعد ان فقد المسلمون ولا اقول العرب عزهم وسلطانهم في العالم ، لقد اسيىء الى اللغة العربية من طرف اهلها والمتكلمين بها ومن طرف من كان يظن عن حسن نية ان احياءها احياء للعنصرية السلالية غفلة منه عن ان اللغة العربية لغة المسلمين جميعا لكونها لغة القرآن ثم من طرف الاستعمار الذي يعلم ان حياته منوطة بموت اهلها ، فالسبب الذي يعوق سير اللغة العربية ويحد من سرعة انتشارها في العالم في الوقت الحاضر هو اننا لم نتمكن بعد من تكوين الجيل الصاعد تكوينا صحيحا يجعله اهلا للسير في طليعة الركب العالمي يسانده عز الامة وسلطانها فاننا ما زلنا لم نتمكن من القضاء على رواسب الاستعمار والتخلف الفكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي ولم نستطع لحد الآن التخلص مما غرسه اعداء اللغة العربية بل اعداء الاسلام . فالقرآن لا يدرك سره وتعرف مقاصده الا بمعرفة اللغة العربية والتمكن من اسلوبها والتضلع في علومها فمتى استطاعت العربية السير في طليعة ركب التقدم في كل ميادين العلم وأمكنها تكوين الاطر الصحيحة في اللغة العربية وعلومها واساليبها واسرارها تساند هذه الاطر في كل المراحل قوة المال ، وامكنها ان تصلح حالها وان تضع الاسماء لمسمياتها حين اختراعها

او تقتبس الفاظا غير عربية بعد صقلها وجعلها ملائمة للنطق العربي السليم فى الميدان الآلي والصناعي خاصة فتنمو اللغة وتزدهر وتنتشر بين جميع الاوساط العلمية فى العالم ، على غرار سلفنا الذي وضع المصطلح لكل ما جد آنذاك من علوم وفنون ، فالمشكل كامن فى الاختلاف والتخلف ونقصان التكوين الفكري والعلمي وعدم توحيد المجهود ، ومن حسن الحظ ان الشعوب العربية ادركت ان نماء اللغة العربية ومسايرتها الركب الحضاري منوط بنمائها وان هذا النمو ضمان لسعادتها ومثار ازدهار لعلومها وقوة لميزاتها ، فاذا حصلنا على قوة المال ووحدة العمل امكننا ان نربط الحاضر بالماضي ونضع المعالم للمستقبل الزاهر وان نقوم بنفس الدور الذي قام به السلف وهم فى اوج عزهم فابتدعوا اساليب شتى فكان لكل معنى مصطلحه الخاص ووضعت اسماء لمسميات لم تعرفها اللغة العربية من قبل ، فلن تستطيع اللغة العربية استرجاع مجدها الا بالوسائل التي نهجها السلف فى الخلق والابداع بالاضافة الى وحدة الفكر ووحدة الاتجاه .

ان داء العمل الفردي او الاقليمي وعدم التكوين الصحيح الشامل العام وعائق الضعف والاختلاف كل تلك عراقيل يجب ان نستأصلها للكرع من ينابيع تراثنا الفياضة ولغتنا الثرية بمعاجمها ووفرة مفرداتها ومطاوعتها فى التصعيد والتوليد والاشتقاق والتجوز والابدال والقياس .

وقد منيت اللغة العربية رغم ثرائها باختلاف خطير قبل ظهور الاسلام ونزول القرآن ، وقبل تغلب لغة قريش على سائر اللغات واللهجات . لذا يجب العمل الآن على تقوية وسائل التوحيد ، توحيد المصطلح العلمي او التقني عن طريق ما امتازت به اللغة العربية من سعة ووفرة مادة ولا ارى وسيلة احسن لتحقيق هذه الوحدة من احداث هيئة علمية مركبة من اختصاصيين فى شتى الشعب العلمية تكون مهمتها اصدار دائرة معارف فى اللغة تنشر تباعا فى مجلة « اللسان العربي » ليتكون منه « معجم اللغة العربية الموحد الجديد » المستمد من الابداع العربي الجديد وكذلك من المعاجم القديمة التي وقفت عن السير بوقوف اهلها وجمدت جمود انصارها بما اصابهم من ضعف . يجب ان يتم انجاز لهذا المعجم تحت رعاية جميع الامم المعنيةبالامر ومن طرف اختصاصيين منقطعين لهذه الرسالة وعن طريق سلم على راسه هيئة عليا يرفع اليها محصول الهيئات الفرعية لتصادق عليه .

واللغة العربية لم تفقد فى اي وقت من الاوقات صلاحيتها للتدريس الجامعي ، فالاساتذة الجامعيون فى العصر الحاضر يدرسون علوما حديثة باللغة العربية ويتقنون دراستها بحثا وتبيانا ويبذلون مجهودا ليس باليسير لتذليل عقبة العثور على المصطلح العلمي والتقني العربي يضاف الى هذا مجهود المجامع العلمية فى العالم العربي ، هذه البادرة يعوزها توحيد المصطلح فى كل الميادين وهو نقص لا يزول الا عندما يبرز للوجود « المعجم المسلسل الموحد » ان شاء الله. فالمشكل الحقيقي انما هو فى عدم وحدة المصطلح لا فى كون اللغة العربية صالحة للتدريس او غير صالحة لان صلاحيتها للتدريس الجامعي شيء واقعي.